الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

سؤال الهوية في رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
*- صورية درموشي
*- ريمة موراس

إشراف الأستاذ(ة):
زوبير بن سخري

السنة الجامعية: **2015/2014**

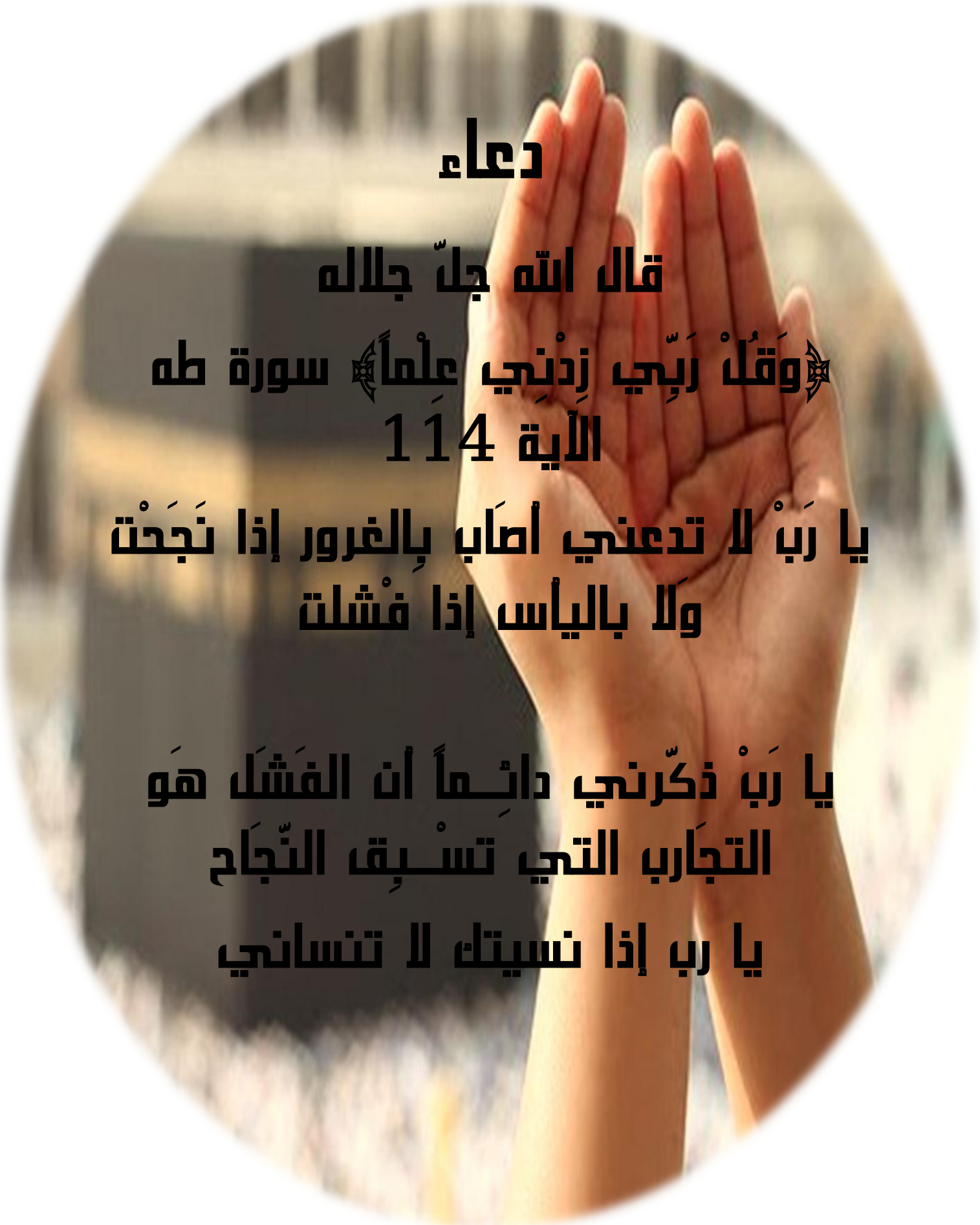

دعاء

قال الله جلّ جلاله

﴿وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْماً﴾ سورة طه
الآية 114

يا رَبْ لا تدعني أصَاب بِالغرور إذا نَجَحْت
وَلا باليأس إذا فَشلت

يا رَبْ ذكّرني دائِماً أن الفَشَل هَو
التجَارب التي تَسْبِق النّجَاح

يا رب إذا نسيتك لا تنساني

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم '' من صنع إليكم معروفا فجازوه فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى يعلموا أنكم قد شكرتم فإن الشاكر يحب الشاكرين''

نتقدم بعرفاننا الخالص إلى الأستاذ المشرف الذي رافقا بنصائحه وتوجيهاته القيمة طيلة إنجازنا لهذا البحث الأستاذ الفاضل

"بن سخري زوبير"

إضافة إلى ذلك نشكر مدير وعمال وأساتذة معهد الآداب واللغات وخاصة الأستاذ ''بوعجاجة سليم'' و "شاقور غزالة"

ونقدم أيضا بالشكر الجزيل إلى القائمين على مكتبة الطالب الذين ساعدونا في كتابة هذه المذكرة وإخراجها على أكمل صورة وخاصة "إبراهيم"

ريمة و صورية

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيد الخلق والأنام أما بعد:

الحمد لله الذي هدانا ولم نكن لنهتدي لولاه والحمد لله الذي وفقنا وسدد خطانا لإنجاز هذا البحث

ما أصعب أن يجمع المرء أحباء قلبه في سطور قليلة وما أكثرها صعوبة أن يذكر حبيبا وينسى آخر

إلى ينبوع الحب والحنان وبحر الأمل والاطمئنان أمي الحبيبة "فطيمة"

إلى رمز التضحية والتحدي والنضال والكفاح أبي الغالي "عز الدين"

إلى توأم روحي من ساندني وهو بعيد إلى خطيبي الذي سيكون زوجا عما قريب إن شاء الله كل التقدير والاحترام له " رياض "

إلى فراشات حياتي: "طياء" ، "صباح" ، "سناء" ، و "دنيا"

إلى رمزي الرجولة والفخر "عادل" و " عبد القادر"

إلى عائلتي الثانية عمي "عمار"، خالتي "عائشة"، "صفية"، "نزيهة"، "سارة" و"فاروق" والكنكونين " بهاء الدين" و " أريج"

إلى من قاسمتني هذا العمل الصديقة الوفية "رحمة"

إلى من أحمل لهن أحن الذكريات "حسيبة"، " حسينة"، "كلثوم" و "رشيدة"

إلى كل من علمني حرفا منذ أن تذوقت التعليم إلى غاية هذه اللحظة جميع أساتذتي وخاصة "خلاف الهاني" و "بن مبارك نوار"

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

إلى من ذكرتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

صورية

إهداء

إلى من قال فيهما الرحمان " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"

إلى التي البستني جوهرة الحب والحنان.. إلى التي أنعشتني بطيبتها.. إلى التي حملتني وهنا على وهن.. إلى زهرة الأقحوان وينبوع المحبة.. أمي الحبيبة والطيبة والغالية حفظها الله

إلى من أمدني بيد العون وقت الحاجة.. إلى من علمني الدين والأصول.. إلى سراج أملي وسراج طريقي.. أبي الحنون

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكرهم فؤادي إخوتي

إلى من أحبهما كثيرا أختي التوأم "مديحة" و "فاطمة" أدعوا لهما التوفيق والنجاح وحياتهما

إلى من علمني حرفا من صغري حتى تحصلي على هذه الشهادة

إلى نفسي وطموحاتها

إلى من ساعدتني في إنجاز هذا العمل المتواضع "صورية"

إلى صديقاتي الغاليات "حسيبة"، " حسينة"، "خالدة" و "رشيدة" و"سارة"

إلى من نسيهم قلمي وتذكره فؤادي

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

ريمة

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنطق لسان الإنسان، فأصبح بعجيب البلاغة وسحر البيان، علم الإنسان ما لم يعلم، وعلى خطى نبيه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم نهتدي إلى يوم الدين وبعد:

الهوية رابطة روحية ضميرية بين الفرد وأمته بمقتضاها يسعى إلى إعلان شأن هذه الأمة، ورفع مكانتها بين الأمم، كما تحتم هذه الرابطة على الفرد أن يعيش مدعما لمقومات ذاتية أمته التي هي في ذات الوقت عوامل تمايزها إزاء غيرها من الأمم وأن يسعى دوما إلى الحفاظ على تلك المقومات في مواجهة أسباب التحلل والانهيار، وذلك من خلال اعتزاز الفرد برموز أمته وإجلالها واحترامها والولاء لها، إذ أصبحت الهوية قصية أساسية في الفكر المعاصر وفي كثير مناحي البحث وذلك لكثرة الحروب والصراعات مما جعل الكثير يتساءلون عن مصير هويتهم الخاصة والإقليمية وكيفية الحفاظ عليها.

وتعتبر الرواية محور العلاقة بين الذات والعالم، وبين الحلم والواقع وهي الخطاب الذي يحكي ويحمل من التأويلات ما يحمل عقل الإنسان في ثورة مستمرة على كل مظاهر النشاط والهيمنة في العراق لم تعد الرواية التي تقدم رواية موازين كافية، بمعنى إعادة من هو يرقم في نشرة الأخبار إلى إنسانيته بوصفه بشرا من لحم ودم ورواية قصته أو قصصهم ما عهد هذا كافيا، وهنا نحصر أهمية رواية فرانكشتاين في بغداد إذا أنها تستعين بالمجاز الجمعي الكبير الذي يختزل الإنساني والتاريخي، وبالتأكيد الإبداعي منه، فواقع بهكذا رداءة ووحشية وجنون لا يمكن ننقله إلا بمجاز أي فرانكشتاين نفسه أو السمة المكون من أشلاء الجثث لنجتمع لتصبح كائن عملاق يدخل إلى نفق من الانفتاح طالما أن آلة القتل متواصلة.

إن رواية فرانكشتاين في بغداد تجسيد فعلي لحقيقة مرة لواقع العراق.

لقد تبادرت إلى ذهننا مجموعة ممن إشكاليا تضمنت أهم المفاهيم التي يدور حولها البحث ولعل أهمها: ما هو المقصود بالهوية؟ ما سيماتها؟ ما طريقة الحفاظ عليها- من هو فرانكشتاين؟ وما هويته؟...

ومن الدوافع التي جعلتنا نختار هذا الموضوع بالذات ميلنا الشديد إلى مجال النثر وبخاصة الرواية، كان اختيارنا لرواية فرانكشتاين في بغداد راجعا إلى رغبتنا في الكشف عن لغو فرانكشتاين.

وللإجابة على الاشكاليات المطروحة اقتضى البحث أن نقوم بعرض مضمون المذكرة والتي تشكلت في مجملها من: مقدمة، فصلين، وخاتمة.

فالفعل الأول كان مدونا تحت ضبط مصطلحات العنوان.

أما الفصل الثاني فسلكنا مسار الحديث عن الهوية في رواية فرانكشتاين في بغداد.

وقد اقتضت طبيعة بحثنا أن نستخدم المنهج النقدي الثقافي لأنه الأنسب لإشكالية البحث وخطته، جاء ملائم يستند إلى خطوات تحليلية ومفاهيم نظرية ومصطلحات إجرائية.

ولتحقيق كل الأهداف المنشودة التي رسمناها في خطة بحثنا اعتمدنا على جملة من المصار والمراجع من بينها: الهوية لحسن حنفي حسين، الهوية والسرد لحاتم الورقلي ورواية فرانشكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي...

إن بحثنا كأي بحث أكاديمي قد مر بصعوبات وعراقيل، وإن كانت تنميه وتزيد من جديته ومتعته ونرسي سطرها من البداية من هذه الصعوبات نذكر:

- قلة الدراسات لهذه الرواية، إضافة إلى حداثتها وظهورها مؤخرا.
- عدم التوفيق بين الدراسة وإنجاز المذكرة.

ختاما نقول إن بحثنا قد بذلنا فيه جهدا كبيرا، فلا أنكر الاعتراف بالقصر والعجز وأدعي فيه الكمال فهو لله سبحانه تعالى

فأسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث بوابة ومنفذ لدراسات أخرى لاحقة فما كان فيه هدي من الله تعالى، وما كان فيه من لغو وإساءة فمن أنفسنا ومن الشيطان

نحمد الله سبحانه عز وجل أو أعاننا على إكمال بحثنا ونتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف "بن صخري الزبير" الذي اهتم بكل نقطة من نقاط البحث ولم يبخل علينا بعلمه وإسداء نصائحه وتوجيهاته القيمة

أخيرا نسأل الله التوفيق والسداد.

الفصل الأول

ضبط مصطلحات العنوان

1- مفهوم الهوية:

أ. لغة:

الهوية: "تصغير هوّة وقيل الهوية البئر البعيدة القعر، المهواة وعرشها سقفها المغمى عليها بالتراب؛ فيغتر به واطئه فيقع فيها ويهلك؛ أراد لما رأيت للأمر؟ مشرفا على ملكه طوى طي؛ سقف هوة مغماة تركته ومضيت وتسليت عن حاجتي في ذلك الأمر"[1].

جاء في معجم الوسيط أن الهوية: "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميز عن غيره

إن الهوية بضم الهاء مصطلح استعمله العرب والمسلمون القدماء، وهو منسوب إلى هُوّ وهذه النسبة تشير إلى ما يحمله من مضمون"[2].

أما الهوية "بفتح الهاء تستعمل قصدا في الشرق العربي لتدل على بطاقة التعريف أما عرب إفريقيا الشمالية فيفضلون الكلمة الفرنسية، وينطقون بها"[3].

والهوية لغويا تعني كما يقول الجرجاني«الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[4].

ب. اصطلاحا:

الهوية هي: الامتياز عن الغير والمطابقة للنفس أي خصوصية الذات، وما يتميز به الفرد، أو المجتمع عن الغير، من خصائص ومميزات، ومن قيم ومقومات.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (هـ، و، ي)، دار صبح ، لبنان المغرب، ج35 ، ط1 ، 2006 ، ص 163.

[2] عزيز العظمة وآخرون، مفاهيم عالمية للهوية، تر عبد القادر فنيني، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ، 2005، ص17.

[3] حسن حنفي حسين، الهوية، دار الكتب، القاهرة، ط1 ، 2012 ، ص 9.

[4] الشريف الجرجاني ، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط ، 1988 ، ص 257.

وفي ضوء ذلك يمكن تعريف الهوية بأنها: "تفرد شخصية مجتمع بمجموعة من الصفات والخصائص التي تميزها عن باقي هويات المجتمع الأخرى، والتي تشكلها عدة عناصر أهمها: اللغة والدين والعادات والتقاليد والقيم الأخلاقية"[1].

الهوية تمثل جملة من العناصر المتداخلة والمتكاملة تكشف عن المغزى الحقيقي للشخصية الإنسانية، عبر المسارات التاريخية والتحولات الاجتماعية والتغيرات والتطورات الفكرية والثقافية والاقتصادية..."والهوية في بنائها تقوم على الحقيقة الوجودية تنطوي على خاصية الإحساس والشعور"، فالهوية هي: وحدة المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عمن سواه ويشعر بوحدته الذاتية.

"الهوية إحساس فردي وجماعي بالانتماء إلى قوم من الأقوام أو شعب من الشعوب، يحمل أفراده نفس الخصائص والصفات ويشعرون بنفس المشاعر والمواقف"[2].

الهوية هي: إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم؟ فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوته وأمومته ومواطنته وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءا من هويته حتى يعيها الطفل ويعرف نفسه بها.

2- مستويات الهوية:

الهوية إما أن تكون شخصية وهي التي تخلف التنوع بين الأفراد داخل المجتمع الواحد.

---

[1] محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط ، 1999 ، ص 100.

[2] حبيب صالح المهدي، دراسة في مفهوم الهوية، مركز الدراسات الاقليمية، د ت ، د ط ، ص 3.

وإما أن تكون جماعية فتختلف التنوع بين المجتمعات ويظهر الفرق الحقيقي بين الهوية الشخصية والهوية الجماعية عند مقارنة العمل الفني بصفة عامة بالبيئة المبنية فعلى المعماري أن يخرج بعمل يعكس هوية المجتمع بأسره لأن هذا العمل ملك للمجتمع الذي يعيش فيه والذي بدوره يمتلك هوية جماعية لابد من احترامها، وهو ليس منتج بكونه المعماري وحده، "فالبحث عن الهوية الجماعية تعد قضية من أهم القضايا التي تواجه الشعوب والمجتمعات المختلفة في كل مكان، وليس في العالم النامي أو العربي الإسلامي فقط إذا زاد الاهتمام بقضية الهوية في السنوات الأخيرة في إطار مقاومة المؤثرات السلبية للحداثة والعولمة"[1] إذ أن الهوية تضيف وتتسع من المستوى الذاتي إلى المستوى المحلي إلى المستوى الوطني، فهي متغيرة بين هذه المستويات بحسب المصالح والخطر الذي يتهددها، وذلك جليا في تقسيم الهوية إلى ثلاثة مستويات متداخلة وهي:

هوية الفرد داخل الجماعة الواحدة: قبيلة كانت أو طائفة أو جماعة دينية (حزبا) أو نقابة.....الخ هي عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، عبارة عن " أنا " لها " آخر " ويتعامل فيها الفرد مع الآخرين داخل الجماعة نفسها.

هوية الجماعة داخل الأمة: لكل جماعة داخل الأمة "أنا" خاصة بها و"آخر" من خلاله، فلكل جماعة خصوصية معينة تميزها عن الجماعة الأخرى ويظهر هذا التميز في هذه الهوية الجماعية من خلال الهويات الأخرى، بوصفها ليست هويات متطابقة أو متشابهة.

هوية الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى: "وهي هوية أكثر تجديدا وأوسع وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف، فالعلاقة بين هذه المستويات ليست ثابتة، حيث يتغير مدى ما

[1] محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص159.

منهما اتساعا وضيقا بحسب أنواع الصراع واللاصراع والتضامن واللاتضامن والتي تحركها الفردية أو الجماعية أو المصالح الوطنية والقومية"[1].

وعلى ذلك فالعلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد بنوع "الآخر" وبموقعه وطموحاته، ويرى يان أسمن «أن الهوية الفردية لا تنمو ولا تتحقق إلا من خلال الهوية الجماعية، فالأنا تتكون في الإنسان بفعل اشتراكه في صور متنوعة ونماذج التفاعل والاتصال مع الجماعة التي ينتمي إليها، فالهوية بهذا المعنى ظاهرة اجتماعية وفي مقابل ذلك فإن الهوية الجماعية أو هوية "النحن" لا تنشأ خارج أفراد الجماعة، بل تنبع من معرفة ووعي الأفراد بالهوية التي يعيشون تحت مظلتها»، ويعرف يان أسمن«الهوية الجماعية على أنها تلك الصور التي تكونها جماعة معينة عن نفسها وتكون هذه الهوية قوية أو ضعيفة بالقدر نفسه الذي تكون به قوية أو ضعيفة في وعي وشعور أفراد المجموعة وبالقدر نفسه الذي تحرك وتدفع به تفكيرهم وتصرفه"[2].

وهذا يعني أن الهوية يمكن أن تحدث في مستويات مختلفة من الفيزيقي إلى الروحي وبصيغ مختلفة من الفردية إلى الجماعية، وتتميز الهوية الحسية الفردية بكونها ديناميكيو ويمكن تغييرها بسرعة لأنها مرتبطة بالرغبات الشخصية كما أنها مرتبطة بالأشكال الوظيفية ، وحسبه الهوية اتخذت أربعة مستويات: الهوية الحسية الفردية، والهوية الحسية الجماعية، الهوية المعنوية الفردية، وأخيرا الهوية المعنوية الجماعية، وهذه الهوية الأربع مرتبطة بمسار زماني ومكاني معقد تنتقل فيه الهوية الفردية الحسية إلى الجماعة المعنوية عبر تفاعل معقد تاريخي بين الإنسان والعالم المحيط به.

[1] محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مرجع سابق، ص 160.

[2] يان أسمن، الذاكرة الحضارية، تر عبد الحميد عبد الغني رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002 ، ص3.

3- الهوية من المنظور الفلسفي:

منذ بدء التاريخ الفكر العربي إلى اليوم، والهوية تعني تطابق الشيء مع ذاته، وقد تم التعبير عنها بالصبغة الرياضية: أو يرى هايدجر(Heidegger) أن الهوية بهذا المفهوم قدمت داوما بطابع الوحدة، هذه الوحدة التي ليست هي الفراغ الذي يدوم ويستمر في انسجام بعيدا عن كل علاقة إنها "الوحدة التي هي في ذاتها اختلاف مبعد الموقف الساذج الذي ينظر إلى وحدة الهوية كانسجام"[1].

ومنذ الفلسفة المثالية النظرية التي مهد لها كل من لابينز وكانط وهيجل الذي عمل على نشرها فقد منحت دورا الكينونة الهوية والتي استند عليها "هايدجر" لتحديد مفهوم الهوية فهو يدعونا إلى المعادلة التالية أ = أ كي نفهم أن (الهو) (est) يميط اللثام عن مبدأ كينونة الهوية أي كيفية كينونة كل ما هو موجود هو نفسه مع نفسه. فمبدأ الهوية قائم على كينونة الكائن فكل كائن ككائن، الحق في الهوية أي في الوحدة مع ذاته.

وقد أصبحت الهوية عنوان الفلسفة " فلسفة الهوية" عند شليج، أي أن يكون الوجود مطابقا لنفسه دون فصام أو انقسام أو ازدواجية أفلاطونية تطابق الروح والطبيعة والمثل والواقع دون حركة أو جول أو مسار كما هو الحال عند هيجل.

قال الفارابي:«هوية الشيء وعينته، وشخصه، وخصوصيته، وجوده المنفرد له كل واحد وقولنا إنه هو اشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع اشتراك وهذا يعني أن الهوية اكتسبت طابع التشخيص والشخص نفسه.» [2]

ونجد أن الفلاسفة القدامى استعملوا لفظة هوية (بضم الهاء) التب نحنوها من الضمير (هو) المقابل للفظة " إستين" اليونانية أي فعل الكينونة الذي يربط بين الموضوع

---

[1] عبد السلام بن عبد العالي، التراث والاختلاف، دار التنوير، بيروت، ط2 ، 2006 ، ص 84 .

[2] عادل عبد الله، التفكيكية (إدارة الاختلاف وسلطة العقل)، دار الحصا دار الكلمة، دمشق، ط1 ، 2000 ، ص 69، 70.

والمحمول حسب ما أقره أرسطو إلا أنه حدث ارتياح لمفهوم الهوية مع الفلسفة الحديثة مع معنى الوجود إلى دلالة على الذات أي تحول المعنى من مفهوم "الشيء المفكر" إلى عبارة " الأنا أفكر"، والكوجيتو Cogito الديكارتي "أنا أفكر فأنا موجود" فالموجود في ذاته مستنبط من واقعه " الأنا أفكر".[1]

أما اليوم فقد حدث انزياح من لفظة الهوية في مستوى اللغة الفلسفية إلى لفظة الهوية بفتح الهاء التي تشير إلى نحن في مستوى الأنثروبولوجيا والثقافة في ضوء النقد ما بعد الحداثة.

تم انزلاق العرب المعاصرين من استعمال لفظة هوية من معناها الأنطلوجي لدى الكندي وابن سينا وابن رشد، إلى دلالتها الأنتروبولوجية والثقافية الراهنة وهو ليس خطأ اصطلاحيا أو استعمالا اعتباطيا، بل هو يستجيب إلى نفس الداعي الحفي الذي دعا المترجمين العرب الأوائل إلى اعتماد ضمير " الهو " "النحوي" و"الأنتروبولوجي "إلى" الهو "الأنطولوجي" لم يكن صدفة فقط، بل يستجيب لفهم سابق لأنطولوجية التي تختص بالمقارنة بين مختلف السلالات القديمة للوصول إلى الحقائق التي تدرس الذات وما تختص به في ظل اكتساب هوية مشتملة على حقائق مطلقة تعنى بالذات وعلاقته مع الآخر.[2]

4- الهوية من المنظور النفسي:

إذا أخدنا بمفهوم الهوية المنزاح أو الحديث، أي بدلالته الأنتروبولوجية والثقافية لتحديد بروزها وتجليتها بشكل واضح عند الفرد فإن إشكالية الهوية ضمن تطور الحياة النفسية تبرز بشكل جلي أثناء المراهقة،"فعملية اكتساب الهوية لا ينبغي أن تبدو لنا في

[1] حسن حنفي حسين، المرجع السابق، ص 13.

[2] عادل عبد الله، المرجع السابق، ص 72.

الاحتفال الساذج بالدمج المستمر لذات فردية أو جماعية وحسب، بل تتجلى أيضا في ذلك القرار المعلن عنه، والسري في كثير من الأحيان بالقيام بفعل تهديمي تفكيكي، ولهذا تتأرجح الذات بين الإحساس المؤلم بتبعيتها لما هو سائد والاعتراف به كواقع وبين الانصات إلى رغبات الجسد السالبة.» [1]

فإشكالية الهوية وتجلياتها في حيات الفرد ترتبط بمرحلة المراهقة وما يرافقها من تغيرات فيزيولوجية، تنعكس بدورها على شخصية الفرد الذي يمر بأحرج المراحل، وأصعبها حيث تتمزق الذات بين هوية موروثة يكتسبها الفرد من وسطه الصغير وهو الأسرة والوسط الكبير أو العام

وهو المجتمع، وبين هوية مكبوتة . إن صح التعبير . والتي تكون في غالب الأحيان ملغاة من طرف المجتمع، ومسكوت عنها إذ يشير مصطلح "هوية " إلى"تنظيم دينامي داخلي عين للحاجات والدوافع والقدرات والمعتقدات والإدراكات الذاتية»[2]. بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي السياسي للفرد، وكلما كان هذا التنظيم على درجة جيدة، كلما كان الفرد أكثر إدراكا أو وعيا بتفرده وتشابهه مع الآخرين وأكثر إدراكا لنقاط قوته وضعفه أما إذا لم يكن التنظيم على درجة جيدة، فإن الفرد يصبح أكثر التباس فيما يتعلق بتفرده عن الآخرين ويعتمد بدرجة كبيرة على الآخرين في تقديره لذاته كما ينعدم الاتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل بالنسبة له. فيفقد الثقة في نفسه وفي قدرته على السيطرة على مجريات الأمور؟ وبالتالي ينعزل عن حياة غالبية المجتمع الذي يحيا فيه وهو ما يعرف بأزمة الهوية.

"إن هذه الأزمة التي نشأت عند الفرد نتيجة عدم قدرته على التكيف مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه بسبب تصادم حاجاته ورغباته ومعتقداته الذاتية مع مثيلاتها

---

[1] فتحي المسكيني، الهوية والزمان، دار الطليعة، بيروت، ط1 ، 2001 ، ص 7 ، 8 ، 9 .

[2] محمد نور الدين، الهوية والاختلاف (في المرأة، الكتابة والهامش)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ت ، ص 19 .

في المجتمع خاصة في فترة المراهقة التي يكون فيها الصراع محتدما بين هوية مرغوبة (فردية، ذاتية) وهوية مفروضة ومرفوضة (جماعية)» [1]، فنحن الأفراد في كل المجتمعات مشتى الثقافات "نتعلم من المهد إلى اللحد إلى أن نستبدل قيمة أنفسنا بالقبول الاجتماعي وتكامل شخصيتنا وأرواحنا بالتكيف الأخلاقي " فالفرد لا يمكنه أن يعيش خارج إطار الجماعة أو المجتمع، فهو كائن اجتماعي وعليه فإن هوية الفرد الواحد لا يمكن فصلها بأية حال من الأحوال عم هوية الجماعة أو الهوية العمومية التي تعني" شعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات، والهوية بهذا المعنى هي حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية النشأة الاجتماعية، وهناك ثنايا التعبير السياسي الجمعي عن هذه الهوية في شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات ذات طابع تطوعي واختياري، وهناك ثالثا حال تبلور وتجسيد هذه الهوية في مؤسسات وأبنية وإشكالات قانونية على يد الحكومات والأنظمة" فالفرد جزء من الجماعة، وبتطبيق علاقة التعدي، فإن هويته الفردية تندمج ضمن هذه الجماعة التي تشكل هوية المجتمع التي تحمل سماتها الخاصة بها.

5- التحول والثبات في الهوية:

- يمكن التمييز بين عناصر الهوية القابلة للتحول والأخرى الثابتة، والعناصر الثابتة في الهوية هي المسائل المتعلقة بالعقيدة ودون ذلك من الكسب الإنساني والاجتهاد البشري فهي قابلة للتجدد والتغيير، ويرى محمود أمين العام« أن الهوية ليست أقنوما بمعنى (شخصية أو طبيعية) جاهزا وإنما مشروع مفتوح على المستقبل، أو متشابك متفاعل مع الواقع والتاريخ »[2]، فهي شيء يتم اكتسابه وتعديله باستمرار، فتاريخ الجماعات متجدد مليء

[1] عادل عبد الله محمد، دراسات في الصحة النفسية (الهوية، الإغتراب، الاضطرابات النفسية)، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 2000، ص 16.

[2] محمد صالح الهرماسي، مقاربات في إشكالية الهوية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ، 2005 ، ص 46.

بالأحداث والتجارب وبالتالي فإن الهوية تتغير وتكتسب سمات وتطرح سمات أخرى ولهذا تم وضع ثلاثة أسس لفهم الهوية وتحولاتها:

أولا: أن الهوية ليست موجودا ملموسا ولكننا ندركها من خلال الأثر الذي تتركه الحاضرة عبر التاريخ، ونجدها من خلال فهم أنفسنا وبيئتنا، وهي عبارة عن سلسلة عمليات متتابعة وليست شيئا جامدا ثابتا فهي تتحول مع الزمن وهذا ما يمنحنا صفة الدين.

ثانيا: أن الهوية لا يمكن تصنيعها، فهي تشكل من سلسلة من العمليات ونتائج تفاعلنا مع ما ندركه من حولنا.

ثالثا:"أن الهوية ليست مرتبطة بالوعي الذاتي فنحن نقيم الآخرين ونضعهم في قالب معين على الرغم من أنهم لا يسعون لكي يكونوا في الصورة التي وضعناهم فيها"[1]، لذلك فنحن نجد هويتنا عن فهمنا لأنفسنا وبيئتنا التي من حولنا وأي محاولة لاختصار هذا التصور وإنما هي محاولة لفبركة الهوية، وإذا كانت الهوية لا يمكن فبركتها فهي يمكن تدعيمها وتفعيلها من خلال تفعيل النتاج الثقافي.

6- وظيفة الهوية والحفاظ عليها:

- كلما انفتحت الحدود واتسعت الفضاءات تصبح الحاجة إلى الهوية قوية، وبقدر ما يزداد الانفتاح على الآخر تزداد النزعة إلى الاحتماء بالهوية وكأن هناك جدلية طبيعية تفرض قانونها على حياة الأوطان.

فالوظيفة التلقائية للهوية كما يراها علم الاجتماع هي حماية الذات الجماعية من عوامل الذوبان أو التعرية هذا التصور الوظيفي لمفهوم الهوية يجعلنا نميز أن الهوية شيء اكتمل وانتهى تحقق في الماضي في فترة معينة أو نموذج اجتماعي معين وأن

[1] محمد سبيلة، الهوية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص30.

الحاضر هو محاولة إدراك هذا المثال وحقيقته،"أما التصور التاريخي والديناميكي فهو يرى أن الهوية شيء يتم اكتسابه وتعديله باستمرار وبذلك فإن الهوية الأصلية باستمرار وتكسب سمات وتلفظ أخرى." [1]

ويقول المفكر محمود أمين العالم:"إن أخطر ما نتعرض له هويتنا هو جمودها واستغراقها في استنساخ رؤية ماضية وفرضها على حاضرنا، وإن أخطر ما تتعرض له هويتنا هو عزلتها عن عصرها باسم الأصالة على أن أخطر ما تتعرض له هويتنا" [2]، كذلك هو ميوعتها وفقدانها لذاتها الواعية ولقدرتها العقلانية النقدية الابداعية وضياعها في تقليد أو خضوعها لخبرات سياسية واجتماعية وثقافية لا تصلح لملابساتنا وأوضاعنا واحتياجاتنا الخاصة، إذ ترتبط مفاهيم الحفاظ والاحياء بالاتجاهات المحافظة والأصولية والتي ترتكز على أهمية المحافظة على المخزون التراثي ومكوناته ضد تيارات التغيير، الأمر الذي يمكن أن يتحول إلى تيار مضاد يستهدف العودة إلى الماضي وأمجاده وبحيث تصبح عمليات الحفاظ والإحياء حركة رجعية تشكل خاتمة المطاف للحركة الثقافية وابداعاتها وتقدمها، وبذلك فإن أهمية الاحتفاظ والاعتراف بالجذور الثقافية هو الشيء الوحيد الذي يعيد الناس إلى هويتهم أو الانتماء لبلدهم وتساعدهم على فهم ما حولهم، فتراثنا يأخذه الأجيال القادمة، فيجب علينا أن نذهب للماضي وننظر فيه بتمعن، حين نستمد فيها أخلاقية تخدم مصلحتنا ومصلحة مجتمعنا تمكننا من اكتساب هوية حقيقية نعني بها وتخدم الآخرين، في ظل اكتساب مقومات جمالية وأخلاقية تحت التمثيل لها وتجسيدها على أرض الواقع.

[1] محمد سبيلة، الهوية ، مرجع سابق ، ص 40.

[2] المرجع نفسه، ص 50.

7- الهوية والسرد:

يوصف السرد أحد مكونات الهوية وإذ ذهبنا أبعد الكلام فإننا سنقرأ الهوية بوصفها سردا بما أنها لا تتحقق إلا في السرد وبوساطة السرد وهي الهوية التي يسميها "بول ريكور" الهوية السردية أي ذلك النوع من الهوية الذي لا يتحقق إلا بالتأليف السردي والسرد.«كما يذهب الدكتور كاظم يتجاوز دلالته التقنية التي تحصره في أشكال السرد التخييلي المعمودة كالرواية والقصة والملحمة، ليعبر عن مفهوم أنطولوجي أوسع بما ينطوي عليه من فعالية تحكم كل ما يحدث في الزمان، ويتعاقب فيه وينتظم داخله وفق صيغة معينة والسرد»[1] ، بهذا المعنى ليس هو قرين الوجود فحسب، بل صيغة متقدمة من الوجود وذلك من حيث هو تعبير عن شكل الوجود في العالم،«وعملية التأليف لا تكتمل في نص السرد بل لدى القارئ لأن دلالته تنبثق من التفاعل بين عالم النص وعالم القارئ[2] »، وذلك لأن السرد هو وساطة بين الإنسان والعالم وهو بهذا المعنى تورط بالعالم وبين الإنسان وبين الإنسان ونفسه.

إذ تقترب علاقة السرد بالهوية من علاقة اللفظ بالمعنى، أو الشكل بالمضمون من ناحية أن السرد وإن تعددت مفاهيمه قالب يغلب عليه الجانب الفني والأدائي إبتداءا بالعرض وانتهاءا بالتوظيف وما يتخللهما من تحديد لبنى الراوي،«والشخصيات والزمن والمكان وما يترتب عليها من تقديم وتأخير وتكرار وتدوير وتأطير وتعزيز للرؤى وتوثيق لعرى العناصر المعروضة وتفسير للأحداث وتضمين للأبعاد ضمن الشرط الجمالي والقيد الفني للمضمون أما الهوية فتظل معطى معروضا ومستودعا مأمونا قابلا للترميز

[1] نادر كاظم، الهوية والسرد(دراسات في النظرية والنقد الثقافي)، د ت ، ط1 ، 2006 ، ص 1 ، 2 .

[2] المرجع نفسه، ص10.

والتعريض بحسب ما يمليه الموقف والمقام؟ وخبرة السارد وغايته، وعليه يمكن اعتبار الهوية بنية سردية.» [1]

إذ يعد السرد محورا يدور حوله وجود الإنسان بمتمظهرات متداولة، تعبر عن نظم وقيمية تمنح الذات تأصلا في مكانها وتجدرا في أزمنة متخالفة حتى وإن بدت متشظية فاستخدم السرد عبر التذكر والاستعارة مانحا أشكالا هوية للذات، التي لا تكون بمعزل عن تاريخيتها،«إذ هي تعيد بناء ماضيها حدثا وصورة للحدث بأساليب رمزية تريد لها أن تقيم علاقة تثاقف بين الذات والآخر انفتاحا وتغايرا. هكذا يتألف نص تخييلي يسعى السارد ضمنه رسم تمثلات عن ذاته وما يجاورها كما هو يأمل في خط ثنايا قد توصل إلى فضاء الإمكان إذ يقيم السارد علاقة اتصالية بين ماضيه تذكرا، وحاضره معاناة ومستقبله أملا وانعتاقا فيعود القهقري لأصول الذات الأنطولوجية واصفا ومستذكرا»[2]، مشكلا للأحداث وصورها قصد توصيلها لمتلق له أن يقرأه ويعيد قرائتها إذ دون نظرة ارتجاعية وأخرى استشرافية لا يمكن للذات أن تؤسس هويتها.

إن التأكيد على أن الفهم يستوجب ذاتا فاهمة تريد أن تُفهم ذواتا غيرها يقود إلى القبول بفكرة التغير والتبدل من طرف إلى طرف وأن تأويلها يكون من نصوص مكتوبة أو أفعال دالة لها حضور حياتي لطالما أن الحياة تعاش والقصص تروى" إن الهوية سرديا تمر عبر الجمع بين سرد تاريخي وسرد تخييلي ليأخذ شكلا هرمينوتيقيا تجعل من الحياة معاناة وجب أن تعاش ويرتهن فيه الزمن للسرد إذ ليس له أن يكون إلا مروريا، وذلك بنسج حبكات مختلفة وديناميكية بتفاعل فيها السرد والتاريخ. إنه في غياب هذه الفواعل مجتمعة ومتداخلة لا يمكننا تقصي الهوية الذاتية وهي أشد تفلتا في أنيتها.

[1] عبد العزيز مانع، ندوة الهوية والسرد، كلية الآداب جامعة الملك سعود، 2012 ، ص3 .

[2] حاتم الورقلي، الهوية والسرد، دار التنوير، تونس، د ط ، 2009 ، ص 78 .

«إن تشكل الهوية رهين بوعي الفرد بخصوصيته وتفرده، عن بقية الأفراد حتى وإن جاء هذا الوعي من سبل تخييلية متراكبة لا تمتلك موضوعية واقعية ثابتة أن تحكي هو أن تفسح فضاءا تخييلي للتجربة أين يتحقق الحكم الأخلاقي ضمن صيغة شرطية» [1]. ومن مستلزمات هذا الإدراك أن يصير لحظة تاريخية مضبوطة مكانا وزمانا تبدأ خلاله عملية التشكيل وإذ ما حاولنا تعقل هذا التشكيل فإنا نجده حاصلا من وعي الحضور التالي، وبهذا تكون دلالة الهوية مسارا متحولا غير مستقر لا يهنأ بمكان خفي يترحل إلى غيره فهي حركة تتموضع بها الذات من خلال الخطابات المعبرة عنها.«إن الهوية قائمة على أساس تخييلي غير منضبط بوجود ثابت ومحدد بصفة نهائية قابلة أن تؤول كلما تقصدنا إدراكها فهي قصص وسرديات»[2]، فالتشكيل السردي يخضع الهويات وإلى عملية سردية تقوم على الحبكة أسلوبا روائيا بحيث تمد الوجود حقيقة ومعنى والذات داخلة قيمة ودلالة فالهوية لا تمثل اكتشافا بإطلاق (أي كشيء معطى) أو مجرد إبداع (كشيء مبني) إنما هي حوصلة مجموع من التحديدات: من صفة واختيار من ذاكرة وحكايات مسرودة ومشاريع مأمولة. هكذا يكون للسرد فضيلة الجمع والتحريك لهذه المكونات في نسيج تشابكي على نحو تأويلي استبدالي فبنائي، إنه يصطفي الأحداث وعليها يقيم تاريخا ذو معنى وفاعلية، إن الهوية بما هي نتاج تاريخ ومكون له منحوته كما لو كانت ذاتها والآخر الذي يمثل أمامها، إن الذات ومنذ الأمد مسكونة بالغيرية "فالذات عينها" هي الآخر. مما يحملنا على القول أن الحياة سرد أو هي للسرد، فلا تتحقق الهوية إلا بالتأليف السردي حيث يتشكل الفرد والجماعة معا في هويتهما، من خلال الاستغراق في السرديات والحكايات التي تصير بالنسبة لهما بمثابة تأريخهما الفعلي.

[1] حاتم الورفلي، الهوية والسرد، دار التنوير، تونس، د ط،2009، ص 78 .

[2] زهير الخويدي، الهوية السردية والتحدي العولمي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2000 ، ص 20 .

"فالخيال والتاريخ وبينهما الاستعارة فهم ما به تتكون الهوية السردية لشخص ما أو جماعة تاريخية معينة من الانصهار بين السرد والخيال، من هنا يكون ما يشكل"[1] الذات والتأويل يتم بواسطته السرد الذي يستند إلى التاريخ والحياة حيث تتألف الحياة؟ في شكل قصص خيالية أو تاريخية؟"كما هي الشخصيات الواقعة مع السرد ولما كانت إشكالية الهوية تتمثل في مسألة التماسك والبقاء في الزمان، فإن السرد يقدم الخاصية الدائمة للذات من أجل بناء هوية بواسطة السرد تماما" [2]، مثل: الهوية الحيوية المتحركة التي تعطي هوية الذات في الحبكة المستندة إلى التوافق المتنافر الذي يشكل الهوية السردية للذات، " نستمد هكذا فهمنا هويتنا من نشاط سردي".

فالذات لا تعرف ذاتها مباشرة بل بطريقة غير مباشرة من خلال التغييرات الثقافية بجميع أنواعها والتي يتم إنتاجها بالعودة إلى وساطات رمزية تنتج دائما وأساسا الفعل، توفر الوساطة السردية معرفة للذات عبر تأويلها تأويلا سرديا يوفر لها وجودا مجازيا صوريا تتخيل به وجودها.[3]

8- بداية فرانكشتاين وعلاقتها بالأدب:

من منا من لم يشاهد شخصية فرانكشتاين في السينما أو على شاشة التلفزيون، ذلك المسخ الضخم ذو الوجه الشاحب والملامح الجامدة التي تملئ الغرز والقطب وجهه وجسده كأنه دمية جمعت أجزاؤها على عجل، مشيته وحركاته مميزة، هو مسخ اخترعه شاب عبقري يدعى "فيكتور فرانكشتاين" بعد أن لملم أجزاءه من جثث الموتى وبث فيه الحياة باستخدام الصواعق.

---

[1] زهير الخويدي، الهوية السردية والتحدي العولمي، ص 84 .

[2] عبد الله ابراهيم، الهوية والسرد والاعتراف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ، 2001 ، ص 80 .

[3] المرجع نفسه، ص 88 .

نالت شخصية فرانكشتاين قسطا وافرا من الشهرة كعمل أدبي منذ ظهورها لأول مرة في رواية حملت عنوان "فرانكشتاين" نشرت في لندن عام 1818 وهي من تأليف شابة تدعى " ماري شيلي" حالفها الحظ وساعدها وشجعها زوجها الشاعر فحققت روايتها نجاحا باهرا وقبولا منقطع النظير، وسرعان ما تلقفتها المسارح الأوروبية، وجسدتها لاحقا عشرات الأفلام السينيمائية ومسلسلات التلفزيون.

"ولأن الناس تعلقوا بشخصية المسخ أكثر من أي شيء آخر في الرواية، لذلك أطلقوا تسمية " فرانكشتاين" في حين أن هذا الاسم يعود في الحقيقة إلى المخترع الشاب الذي صنع المسخ أما المسخ نفسه فلم تعطه " ماري شيلي" اسما معينا خلال روايتها. وإنما أشارت إليه بصفات متعددة " كالوحش" و" المسخ" و"العفريت" لسنوات تساءل الناس عن المصدر الذي استوحت ماري شيلي روايتها منه، البعض رأى أن للقصة بعدا دينيا وفلسفيا." [1]

فباعتقاد هؤلاء يشير المسخ في واقع الأمر إلى الشيطان أو إبليس الذي تمرد على ربه وخالقه.

أما ماري شيلي فقد زعمت بأنها استوحت شخصيات عملها الأدبي أي الرواية من حلم شاهدته إثر سفرها رفقة زوجها إلى سويسرا فأقاما عند صديق زوجها المدعو اللورد بايرون فاقترح عليهم الأخير أن يكتب كل منهم، قصة رعب يؤلفها بأسلوبه الخاص.

في بادئ الأمر لم تجد ماري شيلي ما تكتبه، لكن في تلك الليلة جاءها الإلهام أثناء نومها شاهدت على شكل مرعب شابا شاحبا منكبا على طاولة ضخمة يجمع شتات ما بدا كأنه مسخ بشري غاية في البشاعة، ماري لاحظت الحياة تدب في جسد ذلك المسخ بواسطة مصدر طاقة ذو قوة خارقة... كان مشهدا مخيفا لماري بفكرة روايتها الخالدة

[1] إياد العطار، فرانكشتاين القصة الحقيقية، مجلة أخبار الأدب، الصادرة ب 20 جويلية 2014.

بعيدا عن قصة الكابوس المزعوم،"يعتقد الباحثون اليوم بأن للقصة أو لكتابة الرواية جذور حقيقية، فاسم فرانكشتاين في الحقيقة هو اسم أو لقب عائلة ألمانية نبيلة عريقة اشتهرت بقلعتها القديمة التي انتصبت أدراجها العالمية لقرون طويلة. "[1]

ويزعم الباحثون أن ماري شيلي قضيت ليلة سفرها مع زوجها بالقلعة فشاهدت أشباحا وسمعت بقصة العالم الغريب الأطوار.

9- حقيقة فرانكشتاين في بغداد:

في العراق لم تعد الرواية التي تقدم رواية موازية كافية بمعنى إعادة من هو يرقم في نشرة الأخبار إلى إنسانية بوصفه بشرا من لحم ودم ورواية قصة أو قصصهم ماعدا هذا كافيا وهنا أهمية رواية فرانكشتاين في بغداد إذ أنها تستعين بالمجاز، المجاز الجمعي الكبير الذي يختزل الإنسان والتاريخ وبالتأكيد الإبداعي المتأني منه، فوقع بهكذا رداءة ووحشية وجنون لا يمكن نقله إلا بمجاز أي فرانكشتاين نفسه"أو الشسمه المكون من أشلاء الجثث التي يجمعها هادي العناك الذي ليس إلا تاجر خردوات بما يجعل الخردوات مقابل للأعضاء البشرية أيضا وتنامي هذا المخلوق وتورطه أكثر في العالم العراقي، وقد كان كل ما يطمح إليه هو تصفية مجموعة من الاسماء التي تسببت في مقتل أصحاب الأشلاء لعد ضحايا، لكنه يختل في داخله العنف." [2] ، إذ تعد شخصية فرانكشتاين ضمن الشخصيات المتعلقة بأدب الرعب الذي يعد نوعا خاصا من الأدب الذي يهدف من خلال مجموعة من الأحداث المتشابكة إلى إثارة الشعور بالرعب والخوف لا يعرف بالتحديد بدايته لكن أغلب الباحثين يعتقدون أنه بدأ منذ زمن بعيد جراء الأساطير القديمة التي تحتوي على قصص تهدف إلى إظهار الخوف والرعب لدى

[1] هدى أبو غنيمة، الصورة وفرانكشتاين، مجلة عود الند، الصادرة ب 23 نوفمبر 2014 .

[2] سليم سوزة، فرانكشتاين في بغداد على قدر الألم، الحوار المتمدن، العدد 456 ، الصادر 17 ماي 2014 .

المستمع والقارئ, وبعمق أدبي لا يخلو من الفلسفة يسرد لنا "أحمد سعداوي" في روايته« فرانكشتاين في بغداد" قصة "الشسمه" ليطعم برؤيته الأدبية أوضاع العراق ونسيج المجتمع ومشاكله إذ أن الرواية تلبي أذواق أدبية واسعة تمتد لكافة الأعمار، وأنواع الفراء الباحثين عن المنعة التي تصاحب المعرفة والسرد الأدبي المشوف المليء بالإثارة والغموض والنعاني العميقة.» [1]

10- مناسبة الوضع لاستحضار فرانكشتاين في بغداد:

إن شخصية فرانكشتاين الذي لا اسم له، شخصية رمزية تحيل إلى قضايا سياسية واجتماعية ونفسية وميتافيزيقية وأخلاقية فهو شكل الدولة وهويتها، مخلوف جُسد للانتقام من قتلة الضحايا التي تشكل جسده وتعبيرا عن العنف الذي مورس في حق العراقيين والرعب والخوف الذي خلقه العدو في قلوبهم، نتيجة الشعور بالفخر اتجاه الحوادث البالغة البشاعة التي تركت بصماتها لدى قريحة كل عراقي من انفجارات رهيبة وعديدة في حي الكاظمية ومدينة الصدر وحي المنصور والباب الشرقي وساحة الطيران البناويين... فالمحنة في العراق مستمرة ما ايصال هذه المنحة إلى العالم الخارجي لا يمكن للأرقام وحدها أن تعطي صورة كاملة حول المشاكل والضغوط والمعاناة التي يواجهها العراقيون؟ وهم مضطرون إلى التعامل مع العنف بشكل يومي طالما أن آلة القتل المتواصلة ونشطة في الحياة اليومية العراقية.

فرانكشتاين أو الشسمه قدم صور متنوعة عن واقع العراق وحالة العراقيين من حروب وصراعات الطائفية أو الحرب الأهلية وحالة الشتات التي يعيشها العراقيون في المنفى في مقابل حالتي الرعب والقلق اللتين تساير الأنباء على ذويهم الذين رفضوا الهجرة وأرادوا التوحد مع المكان ورفض تركه، فقد كانت هناك حوادث جرت في واقع العراق

[1] مصطفى الصوفي، قراءة في رائعة أحمد السعداوي، الحوار المتمدن، العدد 4385 الصادر 6 مارس 2014 .

منها: "ما قامت به إرهابية في عام 2005 يخطف شاب وتقطيع جسده والقاء كل قطعة في حي مختلف وكل من في المدينة يشاهد قطعة من الجثة"[1]، وكأن هذا الجسد الملموم تحول إلى جسد خيالي منثور على كل المدينة وأعطى رد فعل واحد، وكل من في المدينة في ساحة واحدة أصيبوا بصدمة، وفي هذه الفترة كانت هناك مائة جثة مجهولة الهوية، كما أن موظفي الطب الشرعي أصيبوا بالقرف وصار الوضع مثير للاشمئزاز هذه حوادث بالغة البشاعة لكنها ليست خيالية فقيمتها رمزية بما تحتويه من إطلالة على واقع العراق الذي ظل رهين العنف والرعب الممارس من طرف المحتل الأمريكي.

[1] محمود فراج النبي، عندما يتحول تحقيق العدالة إلى جريمة الصادر عن جريدة القدس العربي، في 22 ماي 2014.

الفصل الثانـي

الهويـة في روايـة فرانكشتاين في بغداد

I. الهوية في العراق:

إن وعي الإنسان بالإنتماء والتجدر لا يتم إلا بالهوية، ووضوحها وفاعليتها فتنتج فعلا إنسانيا يستعصي على التهميش أو المصادرة عليه، فقولنا"بهوية عراقية يعني قولنا بكلمة تأريخية لاشتمالها على الزمان والمكان والعقيدة والفكر والأرض والحضارة والتاريخ "[1] ولعل الذات العراقية من الذوات الفريدة الأولى في تأريخ الذوات الإنسانية بفعل سيرورة متراصة ومتصلة، في صعودها ونزولها التاريخي، اتخذت انواعا وصورا متعددة تتعلق بالدين واللغة والعرف منها:

1. الهوية الإثنية (العرقية):

إن مفهوم الإثنية نعني به مجموعة من السكان لهم خصوصيات تاريخية وثقافية تميزهم عن باقي الجماعات وتشدهم إلى بعضهم، فليست كل الجماعات التي تشترك باللغة الواحدة بالضرورة تنتمي لنفس القومية، يتفاهمون بينهم بسهولة ولكنهم تمايزوا عن بعضهم بالتاريخ والمشاعر والعقيدة الدينية فالعراق اتخذت قوميات وطوائف عديدة كالشيعة والسنة، الصابئة المنذائيون، الأرمن، اليزيدية.

أ. الشيعة:

إن الشيعة هم اللذين نصروا علي واعتقدوا إمامته نصا وأن خلافة من سبقه كانت ظلما له،"هم اللذين فضلوا علي على عثمان رضي الله عنه، أو هي اسم لكل من فضل علي على الخلفاء الراشدين وأن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة، ظهر التشيع باكرا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يديه حيث كان يدعو إلى التوحيد ومشايعة علي جنبا إلى جنب." [2]

---

[1] سلام كوبع العتيبي، العراق أمة، دار الطليعة، بيروت، 2000م، ص20.

[2] حميد فاضل حسن، الهوية العراقية والدولة، دار الصبح، بيروت، ط2، 2000، ص100.

للشيعة أسماء عديدة منها الشيعة وهو أشهر أسماءهم والرافضة، من أهم فرقها السينية والكيسانية والمختارية ومن أهم معتقداتهم"نهم يعتقدون بأن الله عز وجل بعث جبريل بالوحي إلى علي عليه السلام كما يعتقد شيوخ الشيعة أن القرآن الكريم ناقص وأن القرآن الحقيقي صعد بع إلى السماء حينما ارتد الصحابة رضي الله عنهم، كام يعتقد شيوخ الشيعة أن أئمتهم هم الوسيطة بين الله وبين خلقه.» [1]

يمثل الشيعة أكثر من نصف السكان في العراق وأغلبهم من العرب وبعضهم من الأكراد والفرس"وقد ساهم الشيعة في العهد الملكي بأربعة رؤساء، كما اننا نجد في العراق أضرحة أئمة وقادة وهذا يشير إلى عمق التأثير الشيعي، وهي مقامات تلاقي أيضا قداسة واحتراما لدى السنة.» [2]

ب. السنة:

أهل السنة هم فرقة والطائفة المنصورة الذين أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم، أنهم يسيرون على طريقته وأصحابه الكرام دون انحراف، فهم أهل الاسلام المتبعون للكتاب والسنة، اما بالنسبة لعقائدهم فهي أصول الإسلام، تتمثل في أن مصدر العقيدة هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إضافة إلى أن كل ما ورد في القرآن الكريم هو شرع للمسلمين وكل ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب قبوله.

"أما المرجع في فهم الكتاب والسنة التي تبينها وفهم السلف الصالح ومن سار على منهجه. وكذا التسليم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا.» [3]

أما بالنسبة لنسبة السنة في العراق فقد ثبت أن نسبة السنة العراقيين أقل من النصف بقليل (47%) "يتوزعون بين العرب والأكراد وبعض التركان، يتوزعون على ثلاثة مذاهب

[1] حميد فاضل حسن، الهوية العراقية والدولة، ص150.

[2] سالم الحص، الهوية والقضية العراقية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 311، 2005م، ص63.

[3] أبو القاسم هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، دار الفكر، بيروت، د ط، 1998، ص50.

رئيسية هي الحنفية والشافعية والحنبلية ترأس كل مذهب كل من أبو حنيفة والشافعي وابن حنبل في العصر العباسي".[1]

ج. اليزيدية:

طائفة صوفية متعلقة على ذاتها لم يحتك بها الباحثون والمؤرخون، إلا في القرن التاسع عشر،«إن اليزيدية ليس لهم تاريخ مكتوب ومصادر تاريخية واضحة ومؤكدة، لهذا فإن تاريخها وأصولها تعتمد على التقديرات كما يبدو أن أصول الطائفة تعود إلى فترة ما بعد سقوط الدولة الأموية في القرن الثامن ميلادي".[2]

أصر الكرديون على رفض تسمية اليزيدية السائدة شعبيا وكتابيا لدى اليزيدية انفسهم، باعتبارها تسمية عربية وهم يصرون فرض تسمية "الأيزيدية" باعتبارها تتقبل تفسير العنصر القائل بأنها تعود إلى أحد آلهة الديانة الفارسية.

إن اليزيدية يعتقدون "أن اسمهم (اليزيدية) يعود إلى يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الذي ربما تم تقديسه بعد سقوط الدولة الأموية"[3].

إن اليزيدية تمثل خلاصة الدين العراقي القديم القائم على تقديس الكواكب السبعة المعروفة، فهم من بقايا المجاميع العراقية السريانية التي فرض عليها التاريخ للحفاظ على دينها الأصلي، "أن تتقبل بعضا من معتقدات الأديان الجديدة بل إن ديناميكية اليزيدية اضطرت كذلك لتقبل ثقافات الأقوام الجديدة، التي فرضت نفسها على المنطقة أي ثقافة العنصر العربي أولا ثم ثقافة العنصر الكردي في القرون الأخرى"[4].

---

[1] رشيد الخيون، الأديان والمذاهب في العراق، دار المكتبة، دمشق، ط1، 2000، ص80.

[2] أحمد تيمور، اليزيدية ونشأتهم، الدار السلفية، القاهرة، د ط، 1998م، ص50.

[3] اسماعيل صول، اليزيدية قديما وحديثا، المطبعة الأمريكانية، بيروت، د ط، 1984م، ص30.

[4] أحمد تيمور، مرجع سابق، ص54.

يمكن ملاحظة الأصول العراقية القديمة لليزيدية من خلال الأمور التالية: اعتقادهم أنهم من نسل آدم وليس من نسل حواء وأنهم أتوا بعد الطوفان.

يحتفلون بأول أربعاء من شهر نيسان بهبوط الملاك "طاووس" إلى الأرض مثلما كان يحتفل العراقيون في بابل وآشور، بشهر نيسان أول أشهر السنة حسب التقويم البابلي، كما انهم يشتركون مع المسلمين بالصيام وتقديس القرآن.

"أما من الناحية الثقافية تتمثل بمنع هذه الطائفة لأبنائها تعلم القراءة والكتابة مما جعل كتبهم المقدسة غير مكتوبة، بل محفوظة عن ظهر قلب علما أن هذا المنع قد تجاوزه في الأجيال الأخيرة وانتشر المتعلمون بين أبناء الطائفة".[1]

د. الأرمن العراقيون:

هم الأرمن الحاملون للجنسية العراقية أو أرمن المهجر الذين ينحدرون من أصول أرمينة عراقية، ظهر في بداية القرن العشرين بعد مجازر الأرمن في أرمينيا، يتحدثون الأرمينية، "استوطنوا جنوب العراق في بادئ الأمر أنشئت أبرشية الأرمن في البصرة عام 1222م، غالبية الأرمن يتواجدون في العاصمة بغداد يقدر عددهم من عشرة إلى أثني عشر ألف أرميني، بالإضافة إلى وجود تجمعات في بلدان صغيرة في كردستان العراق بسبب العديد من ضحايا التهجير الأرميني مع منتشرين في أكثر من مدينة عراقية لأسباب شخصية واجتماعية واقتصادية وسياسية".[2]

هـ. الصابئة المندائيون:

من الطوائف العراقية الأصيلة وهم يقطنون منذ القدم في أهوار جنوب العراق، وكذلك الأحواز التي تعتبر إمتدادا طبيعيا طبيعيا جغرافيا لجنوب العراق، لقد ورد ذكره الصابئة في

[1] رشيد الخيون، الأديان والمذاهب في العراق، ص60.

[2] مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، دار مكتبة الحياة، دمشق، د ط، 1982م، ص50.

القرآن الكريم في ثلاث سور هي سورة البقرة، المائدة والحج، هناك من يعتقد أن أصل الصابئة يعود إلى الطائفة العرفانية العيسانية الفلسطينية وأنهم هجروا إلى العراق بسبب الاضطهاد.

إن الصابئة المندائية أول الطوائف العرفانية العراقية ولغتهم الأصلية هي الأرامينية الشرقية، "وبما أن مذهبهم يميل إلى الزهد والروحانية فإنهم اعتزلوا المدن ولجؤوا إلى الأهوار حيث السلام الروحي ووفرة المياه، وغالبية طقوسهم ورموزهم مقدسة لها أصول قديمة عراقي، ومن بعض كتبهم الأساسية الكترارية والسيدرة"[1].

وترتكز الديانة الصابئية على أركان:

- التوحيد والاعتراف بالحي العظيم خالق الكون.
- التعميد أو الصياغة وهو فرض واجب ليكون الإنسان مندائيا.
- الصلاة وهي فيض واجب على كل فرد تأدى ثلاث مرات يوميا.
- الصيام وله نوعان: الصيام الكبير وهو الإمتناع عن الفواحش والمحرمات يدوم طيلة الحياة، والصيام الصغير هو الامتناع عن تناول لحم الحيوانات وذبحها خلال أيام محددة من السنة تصل إلى 36 يوما.
- الصدقة ويشترط فيها السر وعدم الإعلام لأن ذلك يؤدي إلى إفساد ثوابها.
- "ومن معتقداتهم بالإيمان تعدد الأنبياء وأن الله قد أوحى لهم بتعاليم المندائية، ولغتهم الأصلية هي المندائية"[2].

2. الهوية اللغوية:

تنوعت اللغات في العراق نتيجة اختلاف القوميات والأديان والمذاهب فنجد:

[1] سليم يوسف، دراسة حول أصل الصابئة المندائيين، مجلة ميزوبوتاميا، بغداد، 2006.

[2] فراس السواح، أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، دار الأمل دمشق، ط1، 1996م، ص170.

أ. اللغة السومرية:

هي احدى اللغات العازلة أي التي تعتمد على استعمال الصيغ المبنية بدل التصريف في الدلالات النحوية، وأقدم لغة باقية بشكلها الكتابي، "وقد ثبت أنها كانت قيد الاستعمال في بلاد ما بين النهرين مند حوالي 3100 قبل الميلاد، وازدهرت خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، وقد بقيت قيد الاستعمال بشكلها المعتاد حتى نهاية عمر اللغة الأكادية تقريبا عند حوالي العهد المسيحي، ولم تتوسع اللغة السومرية كثيرا إلى ما وراء حدودها الأصلية في جنوب بلاد ما بين النهرين، ويمكن تمييز أدوار مرت بها اللغة السومرية: اللغة المماتة واللغة السومرية القديمة أو الكلاسيكية (الفصحى) واللغة السومرية المحدثة، واللغة السومرية المتأخرة"[1].

ب. اللغة الأكدية:

اللغة الأكدية هي: لغة عراقية سامية قديمة، ظهرت في بلاد النهرين مند 3000 سنة قبل الميلاد، وانتشرت لتصبح "لغة المراسلات الرسمية في الهلال الخصيب وعموما بلدان الشرق الأوسط، وهي تصنف ضمن مجموعة اللغات السامية الشرقية"[2]، تأثرت اللغة الأكدية باللغة السمرية وهي لغة غير سامية والتي كانت مستعملة إلى جانب الأكادية ثم حلت الأكادية محلها في بداية الأليفة الثالثة قبل الميلاد، وبقيت اللغة الأكادية (بلهجتها البابلية والآشورية) سائدة في العراق لثلاثة آلاف عام، حيث حلت الأرامية محلها في القرون الأخيرة السابقة للميلاد، وقد قسم المؤرخون تاريخ اللغة الأكادية إلى ثلاثة مراحل:

- المرحلة الأكادية (من حوالي 2800 حتى 2000 قبل الميلاد).
- المرحلة البابلية (من حوالي 2000 حتى 1000 قبل الميلاد).

[1] سليم مطر، موسوعة لغات العراق، دار الكلمة الحرة، بيروت،ط1، 2009م، ص60.

[2] المرجع نفسه، ص61.

- المرحلة الآشورية (من حوالي 1000 سنة حتى سقوط الدولة الآشورية في القرن الخمس قبل الميلاد.

ج. اللغة الأرامية:

مثلت اللغة الآرامية التقاء اللغة الأكادية العراقية بلهجتها البابلية الآشورية مع الشامية الكنعانية، من أهم العوامل التي ساعدت على انتشارها أنها تبنت الكتابة الأبجدية الكنعانية الفنيقية السهلة بدلا من الكتابة الصورية السومرية المسمارية الصعبة.

د. اللغة السريانية:

يعتقد أن هذه التسمية اشتقت من أشوريا نسبة إلى الدولة الآشورية التي كانت سائدة سابقا في شمال النهرين، "وعندما أتى الإغريق أطلقوا على هذه اللغة السريانية محل الآرامية وصارت اللغة الفصحى لجميع الكنائس المسيحية والمانوية البابلية في جميع منطقة المشرق"[1].

هـ. اللغة الكردية:

بعد العقدة التاريخية لدى النخب الكردية، هناك عقيدة اللغات الكردية، إذ يصرون على التعتيم على هذه المشكلة من خلال اعتبارها أنها لهجات وليست لغات مختلفة، إن أهم سبب يسمح للباحثين أن يطلقوا عليها لغات وليست لهجات هو التالي:

"إن شدة الفوارق بينها، بحيث أن الناطقين به لا يمكنهم أن يتفهموا فيما بينهم !! فلو اجتمع الناطق ب (السومرية) القادم من السليمانية، مع الناطق ب (اليهدنانية) القادم من أربيل أو دهوك، فإنهما لا يتفاهمان مثلما يلتقي العربي والعبري"[2].

كيف يمكن أن تكون لهجات، وكل واحدة لديها كتبها وصحفها الخاصة بها.[3]

---

[1] سليم مطر، موسوعة لغات العراق، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص101.

[3] المرجع نفسه، ص101.

و. اللغة المندائية:

هي اللغة الخاصة بالصائبة المندائيين يصنفها اللغويون بأنها واحدة من عائلة اللغات السامية يعدونها الفرع النقي للغة الآرامية الشرقية العراقية، "إن الأصل الأرامي العراقي للغة المندائية يؤكد الأصل النهريين للمندائيين، حيث تحتوي على كم كبير من المفردات الأكدية التي ما زالت باللفظ نفسه أو الأقرب له من سائر اللهجات الأخرى، بل وحتى في بعض الكلمات و الألفاظ السومرية أيضا"[1].

ز. اللغة الأرمينية:

اللغة الأرمينية تعتبر ضمن اللغات الهندو–أوربية– لكنها في أصولها تحتمل مؤثرات عدة لغات بلاد أرمينيا القديمة (الآراراتية).

"وكانت لغة محكية فقط دون كتابة، ولكن في القرن الخامس ميلادي كون آباء الكنيسة أبجدية خاصة مشتقة من الأبجدية الأرامية العراقية، حيث ترجم إليها الكتاب المقدس على يد الراهب (ميسروب ماشدونس) الذي قام بتكوين أبجدية أرمينية من 36 حرف، تسمى اليوم بالأرمينية الكلاسكية"[2].

كما يجدر بنا الإشارة إلى أن الأرمل العراقيون هم الأرمن من حملة الجنسية العراقية أو أرمن المهجر الذين ينحدرون من أصول أرمنية عراقية.

وجود الأرمن بالعراق ليس بجديد في العراق لكنه ازداد في بداية القرن العشرين بعد مجزر الأرمن في أرمينيا، يتحدث معظم أرمن العراق اللهجة الأرمنية الغربية.

[1] سليم مطر، موسوعة لغات العراق، ص202.

[2] المرجع نفسه، ص109.

ح. اللغة التركمانية:

هي لغة أو لهجة مستقلة بحد ذاتها من حيث البنى اللغوية و الأدبية وهي الأقرب إلى اللغة الأذربيجانية منه إلى اللغة التركية الحديثة، "وهي تنتمي إلى مجموعة اللغات (التركية، الألفية) التي هي عائلة لغوية مكونة، هي أكثر من 20 لغة، ربما يمكن المقارنة بين التركمانية والتركية مثل اللهجة العراقية واللغة العربية الفصحى"[1].

- تعتبر اللغة التركمانية هي اللغة الأقلية التركمانية في العراق... يمتلك التركمان لغتهم ويصنفها علماء اللغة ضمن اللغات التركية.
- كما أشرنا سابقا، وتتميز بخصوصيتها الفرنتيكية والمورفولوجية المعجمية والسميائية والأبجدية.
- يتكلم تركمان العراق التركمانية التي تحتل موقعا وسطيا بين العثمانية والأذرية والتي استخدمها الشاعر نسيمي البغدادي في القرن الرابع عشر الميلادي، "وتختلف التركمانية العراقية في لهجتها، وتعتبر لهجة تركوك أنقى اللهجات فأصبحت لغة الأدب والثقافة التركمانية"[2].

ط. اللغة العربية:

إن اللغة العربية وريثة الغنى التاريخي والحضاري للغات السامية في العراق، فاللغة العربية هي وريثة جميع اللغات السامية بالإضافة إلى أن السومرية التي تعد لغة غير سامية.

الحقيقة أن العامل الذي سهل عملية تعريب الشعوب في العالم العربي هو التقارب العقلي و البشري بين القبائل العربية.

---

[1] سليم مطر، موسوعة لغات العراق، ص301.

[2] المرجع نفسه، ص302.

إن اللغة العربية هي لغة الأم بالنسبة للعراق فهي لغة جمعت عدة لغات واستوحت ألفاظها ومفرداتها منها

"إن أصل المفردات العربية وارجاعها دوما إلى أصلها في الصحاري العربية يبدوا أمرا خاطئا، لأن أصل المفردات والألفاظ العربية وخصوصا العربية يجب إرجاعه إلى اللغات السامية في العراق"[1].

ولقد أسهمت الحضارات العراقية القديمة في وضع أسس الكتابة العربية سيما أن العراق هو موطن تلك الحضارات ومهدها.

3. الهوية الدينية في العراق:

تملك العراق العديد من الأطياف والأقليات الاجتماعية وبتنوع هذه الأطياف أكيد سنجد لكل طائفة تقريبا ديانة خاصة تؤمن بها.

فنجد في العراق خزانا كبيرا من الديانات التي اختلطت وتتعايش مع بعضها كالإسلام، اليهودية المسيحية وكذا المندائية.

أ. الديانة الإسلامية:

في أوساط القرن السابع خرجت الجيوش العربية الإسلامية من الجزيرة العربية وسقطت العراق وإيران وأجزاء من أفغانستان وآسيا التركستانية الوسطى... بالنسبة للعراق عندما دخلت الجيوش الإسلامية وحدت أمامها حوالي سبعة ملايين من السكان العراقيين بأغلبيتهم الساحقة من المسيحين مع أقليات الصابئة واليهود والمانوية.

قد دخل الإسلام العراق على أنه منقد للناس من السيطرة الإيرانية والاضطهاد الذين مارسه رجال الدين المجوس ضد الكنيسة العراقية.

[1] سليم مطر، موسوعة لغات العراق، ص303.

"من خلال كل هذا تكمن...العراقيون...من تبني الإسلام والمشاركة الفعالة في صنع الحضارة الجديدة التي كان دينها الإسلام"[1].

ب. الديانة المسيحية:

تعتبر الديانة المسيحية ثاني أكبر الديانات في العراق وهي ديانة معترف بها حسب الدستور العراقي فقد احتفظت بطابعها الديني ولا ينكر أحد ما قدمه المسيحيون العراقيون عبر التاريخ من أدوار وموافق ومعطيات حضارية للعراق من أدب وتاريخ وفن فقد حافظت الأديرة والكنائس القديمة في بلاد الرافدين على اللغة العربية من الاندثار والضياع حيث عمد الرهابان و الآباء على حفظ نفائس الكتب العربية في مجالات العلوم المختلفة خوفا من تلفها واحراقها من قبل الغزاة الذين اكتسحوا العراق مرات عديدة.

"يعود دخول الديانة المسيحية العراق إلى القرن الأول الميلادي أي بعد مئة سنة من ميلاد السيد المسيح عليه السلام بعد قدوم القديس توما الرسول الذي اتخذ من شمال العراق موطنا له ولأتباعه، وكانت مدينة الحضر من أقدم المناطق العراقية ايواءا للمسيحية وتعد كنيسة الحضر من أقدم الكنائس في العراق حيث تم إنشاؤها سنة 80 للميلاد"[2].

"يتوزع مسيحيو العراق على عدة كنائس تنتمي إلى عدة طوائف تتبع طقوسا مختلفة، غالبية مسيحي العراق هم أتباع الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية"[3].

ج. الديانة اليهودية:

يرجع الوجود اليهودي في العراق إلى السبب البابلي والآشوري عندما أخضعوا لعمليات تجهيز جماعية إلى العراق ومازال عدد قليل منهم يعيشون في بغداد ... "كان

[1] سليم مطر، الذات الجريحة، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، ط1، 2000م ص20.

[2] خالد خلف داخل، موجز تاريخ الديانة المسيحية في العراق، جريدة البيئة الجديدة، 2014/08/07.

[3] عبد الحسين شعبان، جدل الهويات في العراق الدولة والمواطنة، دار الطابعة، بيروت، ط1، 2001م، ص30.

اليهود بعد الحرب العالمية الأولى يتوزعون على بغداد والبصرة وظهور كردستان وتضم بغداد أقدم المدارس مدرسة سوارا وهي المدرسة التي دون فيها التلميذ اليهودي"[1].

وفي معتقدات الديانة اليهودية أن مفهوم الجنة يماثل الديانة العراقية، فإن (جنة عدن) المذكورة في التوراة، فهي جنة مفقودة مند أن طرد منها آدم، وهي تمثل الماضي ولا توجد في المستقبل و موقع هذه الجنة في العراق بين آشور والغزات وهي شبيهة بجنة (دلمون) التي تحدث عنها السومريون، أما عن طريق العراقيين والكنعانيين فإن الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا وليس الآخرة، عبر زيادة الرزق والعمر والصحة.

"أما الخاصية الجوهرية التي ميزت الديانة اليهودية عن جميع الأديان أنها جعلت الانتماء العرفي العبري اليهودي أمرا إلاهيا مقدسا والظريف أن اليهود قد كونوا ذلك"[2].

II. فرانكشتاين والهوية:

يشكل سؤال الهوية العراقية سؤالا مفصليا للإنسان العراقي في مرحلة التاريخية الراهنة، هذه الهوية التي شهدت العديد من الهزات والصراعات الداخلية، وصولا إلى سقوط النظام السابق واحترام الصراعات الطائفية والتهجير...إلخ

تقدم الرواية سؤال الهوية ضمن حبكة روائية بوليسية؟ مع رواية فرانكشتاين لماري شيلي والفلم المأخوذ منها.

تنطلق من هذا التناص المعلن لترسم خصوصية المشهد العراقي بواقعية سحرية شيقة، المؤلف هو شخصية في الرواية تقوم بتتبع خيوط القصة المركزية وتلمس ملامح تكون وتطور شخصية البطل، بطل الرواية هو "كائن غرائبي مجين يحمل إسما ينم عن فقدان أو التباس الهوية: (الشسمه)، الشسمه هذا كلمة عراقية دارجة تنم عن التباس

[1] رشيد الخيون، مرجع سابق، ص20.

[2] سليم مطر، موسوعة لغات العراق اللغات، ص40.

الشخص، أو الشيء المسمى وغموضه وأحيانا عدم الرغبة في نطق اسمه وتحديد هويته، هذا الغموض والعجائبية في تكوين ورسم معالم هذه الشخصية تتضح مع تنامي معرفة القارئ به"[1].

إنه شخص أشياء هجين كما هي الهوية التي يرمز إليها يخلقه هادي العناك بائع الخردوات والمواد المستعملة عبر تميع الأشلاء المتناثرة من بقايا انفجارات بغداد الكثيرة.

يجمع هادي العناك بقايا الجثث ويحيطها بصورة فجة يتغير وجه (الشسمه) وشكله باستمرار مع تغيير واستبدال الأشلاء والقطع المكونة لجسده الهجين.

"هذا البطل الأسطوري الخارق كائن غريب، جسده مضاد للرصاص و موته مستحيل إلا بالقضاء على جميع القتلة، وهو روح تتلاقى فيها مئات الأرواح التي أزهقت في شوارع بغداد في سنوات الإرهاب والعنف التي توثقها الرواية، هذا الخليط العجيب من الأرواح والأجساد التي تنتمي إلى مختلف الأطياف المكونة للمجتمع العراقي يشير إلى طبيعة الهوية التي يمثلها الشسمه"، فهو إذ لا يحمل هوية محددة بذاته يمثل الهوية الجمعية للعراقيين الضحايا، هو الأنا العراقية الممزقة والتي يعاد تجميعها بعدة كل همزة سياسية تمثلها انفجارات بغداد، الأنا التي تنتقم من القتلة وتنصف المضطهدين.

إلى جانب الشخصية المحورية المتمثلة في شخصية (الشسمه) فإن المكان في الرواية يلعب دورا مهما في طرح فكرة تراكبية وهجنة الهوية، تنطلق أحداث الرواية في مكان بلا هوية محددة وفي زمان صراع الهويات وتداخلها، فالمكان الرئيسي الذي تدور حوله أحداث الرواية هو حب البتاويين في قلب العاصمة بغداد.

[1] غيث منهل هادي، إشكالية الهوية، قراءة في رواية فراكشتاين في بغداد، جريدة الدعوة، أفريل2014.

III. تجليات الهوية في رواية "فرانكشتاين في بغداد"

من خلال دراستنا لرواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد السعداوي يتضح لنا أن هناك تمازجا في الهوية فنجد في المجتمع العراقي أشخاصا ذوي هويات مختلفة، فنجد اختلاطا في الهويات حتى ولو كان هؤلاء الأفراد يسكنون حيا واحدا.

نجد الهوية العرقية متعددة، نلاحظ وجود الأرمن من خلال " هناك من إتهم فيرونيكا منيب أم أندري آندر والجارة الأرمينية التي تحظر عصريات أم سليم البيضه".[1]

إضافة إلى طائفة السنة والشيعة " والمليشيات السنية والشيعية".[2]

"أما في حي الأعظمية فإن الروايات تؤكد أنه متطرف شيعي" [3]

إضافة أيضا إلى إعتراف شخصية محمود السوادي لهادي العتاك بأن عرقه صابئي فيقول " أنا لا أعتقد أن أصل عائلتي من العرب... أعتقد أن جدي الثالث أو الرابع كان صابئيا".[4]

الهوية الدينية تختلف في المجتمع العراقي من خلال شخصيات الرواية، فنجد الدين الإسلامي الذي يمثله علي باهر السعيدي رئيس تحرير مجلة "الحقيقة" "السعيدي إسلامي".[5]

وكذلك هادي العتاك صانع الشسمه حين سأله الضابطان عن هويته " فأجابهما لا... أنا مسلم"، إضافة إلى شخصية فرج الدلال" ثلاث لوحات كبيرة مأثرة بإثار خشبي سميك للمعوذتين وآية الكرسي مع جداريتين للحرم المكي والمسجد النبوي"[6]

---

[1] أحمد السعداوي، فرانكشناين في بغداد، دار الجمل، بيروت، ط1، 2013، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص158.

[3] المصدر نفسه، ص335.

[4] المصدر نفسه، ص166.

[5] المصدر نفسه، ص92.

[6] المصدر نفسه، ص213.

كل هذه الشخصيات تعود للديانة الإسلامية.

ولا ننسى شخصية أم سليم البيضه وجاراتها اللاتي يعتبرن مسلمات " هتفنا بصوت متقارب: اللهم صلي على محمد وآل محمد"[1] وهذا دليل إسلامه.

أما الديانة المسيحية تمثلها العجوز إيليشوا " كان فرج الدلال يفكر أحيانا بأن طرد عجوز مسيحية لا ظهر لها ولا سند يمكن أن يجي في ظرف نصف ساعة"[2] إضافة إلى ذهاب العجوز للصلاة في الكنيسة " ستقول جارات إيليشوا في الزقاق V أنها غادرت حي البتاويين، ذاهبة إلى الصلاة في كنيسة مارقديشو"[3]

أما الدين اليهودي فنجد عبارة "إنما هو عقار لأحد اليهود العراقيين الذين هاجروا"[4]

نجد خليطا واضحا بالنسبة لهذه الهوية حيث نجد اللغة السريانية مثلها حفيد العجوز إيليشوا "كان يتحدث الشاب الصغير السريانية"

وكذا العجوز في حد ذاتها فقد قالت بالسريانية "أوه قوره دنيه" وهذا معناه بالعربية هنا يرقد دانييل، إضافة إلى أنها تتحدث السريانية مع الصورة الكبيرة المعلقة على حائط الغرفة، وكذا قولها " سياي إيون باسما".

أما اللغة العربية فهي موجودة أيضا في قول السعداوي "لقب السوادي نفسه الذي اخترعه والده مدرس اللغة العربية"

وكذا اللغة الإنجليزية " حيث ظهرت على الخط قال لها بلغ إنجليزية صافية "الآن هو وقت العمل وليس الحقيقة" ". [5]

---

[1] أحمد السعداوي، مصدر سابق، ص104.

[2] المصدر نفسه، ص13.

[3] المصدر نفسه، ص227.

[4] المصدر نفسه، ص 287.

[5] المصدر نفسه، ص290.

من خلال كل ما تحدثنا عنه عن الهوية في رواية "فرانكشتاين في بغداد" يمكننا القول بأن الهوية مختلطة، فكل شخصية لها هوية سواء هوية عرقية أو دينية أو لغوية، وهذا هو التركيب في الهوية، فالعراق ضم هويات مختلفة مختلطة اختلطت لتكون هذا المجتمع.

IV. أسباب الحرب في العراق

تعددت الأسباب والمكان الواحد، العراق تعرض لصدمات قوية فتكت به ومن أهم الأسباب التي ساعدت على الحرب:

– الحرب الأهلية التي عصفت بالمجتمع العراقي " بعدها بيومين كان هادي على موعد على زيارة أخيرة من الشسمه، جاء إلى بيته ليلا ليخبره بما جرى من حرب أهلي بين أتباعه وأن الأمريكان عاودوا تطويق المنطقة التي كان يقيم فيها"[1]

– إضافة إلى الصراعات على شاشات التلفزيون بين السياسيين يقابلها حرب فعلية في الشارع.

– الإنفجارات أيضا أسهمت في هذه الحرب وبالتحديد الانفجارات الانتحارية وما تخلفه من أثر على نفسية الفرد العراقي "لأجزاء من الثانية هي سرعة عصف الانفجار الذي حدث لسيارة الأوبل البيضاء التي كانت ملغمة بالإضافة إلى الحزام الناسف للإنتحاري.[2]

– العصابات المسلحة التي كانت تختطف السيارات وتقوم بجزرهم في بساتين قريبة تبعا لخلفياتهم الطائفية في أحياء وشوارع بغداد.

V. سبب إنتقام الشسمه

شخصية الشسمه في الرواية بدت الضحية والجلاد في نفس الوقت، هذا المخلوق الذي يتكفل بمهام الانتقام صنعه بائع العاديات هادي العتاك، إذ حكى أنه قام بجمع أشياء بشرية من بقايا قتلى التفجيرات الإرهابية سنة 2005 ولصق القطع معا فصارت كائنا إسمه

[1] أحمد السعداوي، مصدر سابق، ص195.

[2] المصدر نفسه، ص304.

الشسمه، ثم سعى هذا الأخير للإنتقام من الدين قتلوه أو أنهوا حياة الناس الذين تكونت منهم اجزاءه.[1]

" أنا ولأني مكون من جذاذات بشرية تعود إلى مكونات وأعراق وقبائل وخلفيات إجتماعية متباينة، أمثل هذه الخلطة المستحيلة التي لم تتحقق سابقا"[2]

كما أن هذا الشسمه كان يدعو الناس لمساعدته والوقف معه حتى يتمم مهمته التي كان يريد إكمالاها " بل أن الواجب الأخلاقي والإنساني يدعوا إلى نصرتي والوقوف في صفي لتحقيق العدالة في هذا العالم المخرب تماما بالأطماع وجنون السلطة وشهوة القتل المفتوحة دائما على مزيد من الدماء".[3]

VI. سبب إختفاء الشسمه

لقد واجهت الشسمه مشكلة هددت بقاءه إذ كان العضو الذي ينتقم له من قاتله يتحلل تلقائيا، وهكذا يحتاج إلى قطع غيار بشرية جديدة ليواصل مهمة لا يبدوا لها نهاية، وهذا ما لاحظناه في الرواية من خلال " في غضون الساعات الثلاثة اللاحقة سقط إبهام يدي اليمنى وثلاث أصابع من يدي اليسرى، ذاب أنفي، وتكونت ثغرات كثيرة داخل جسدي بسبب ذبول اللحم فيها، شعرت بضعف يعتريني ورغبة عميقة في النوم ".[4]

قال لي الساحر "كل من تقتله يتم غلق حسابه، أي أن طالب الثأر يلبي طلبه فيذوب في جسدك، ذلك الجزء العائد له".[5]

---

[1] صالح المرزوق، فرانكشتاين في بغداد جدارية فنية لخارطة العنف وأشواق العراق إلى العدل، جريدة نبض العراق ، 3ماي 2014.

[2] أحمد السعداوي، مصدر سابق، ص157.

[3] المصدر نفسه، ص158.

[4] المصدر نفسه، ص165.

[5] المصدر نفسه، ص165.

هذا البطل الذي حاول إفشاء العدالة وسط أفراد المجتمع العراقي كل جزء من جسده يعبر عن هوية العراق، سواء كان مسلما، مسيحيا، يهوديا أو يزيديا، جمع كل هؤلاء في جسده ليبين لنا الهوية العراقية وتركيبتها المختلطة.

هذه الرواية تنخرط في روايات ما بعد التغير الجذري الشامل أو روايات التحرير أو روايات الخراب الجذري، هذه الرواية تتناول ما جرى في مجتمع واقعي هو المجتمع العراق.

خاتمة

خاتمة:

وصلنا في ختام بحثنا في حدود معرفتنا ومقدرتنا إلى جملة من النتائج وهي تتلخص في النقاط التالية:

1-الهوية تفرد شخصية المجتمع بمجموعة من الصفات والخصائص التي تميزها عن باقي هويات المجتمعات الأخرى والتي تشكلها عدة عناصر أهمها: الدين واللغة والعادات والتقاليد والقيم الأخلاقية.

2-الهوية تظل معطى معروضا ومستودعا مأمونا ، قابلا للترميز والتعويض بحسب ما يمليه الموقف والمقام وخبرة السارد وغايته، وعليه يمكن اعتبار الهوية بنية سردية.

3-الهوية وتجلياتها في حيات الفرد ترتبط بمرحلة المراهقة وما يرافقها من تغيرات فيزيولوجية تنعكس بدورها على شخصية الفرد الذي يمر بأحرج المراحل.

4-مبدأ الهوية القائم على كينونة الكائن وكل كائن ككائن، الحق في الهوية أي في الوحدة مع ذاته.

5-الوظيفة التلقائية للهوية هي حماية الذات الجماعية من عوامل الذوبان والتعرية والحفاظ على المخزون التراثي ومكوناته ضد تيارات التغير.

6-الهوية قابلة للتحول والثبات والعناصر الثابتة في الهوية هي المسائل المتعلقة بالعقيدة، ودون ذلك من الكسب الإنساني والاجتهاد البشري فهي قابلة للتغير والتجدد.

7-من مستويات الهوية: إما أن تكون شخصية وهي التي تخلق التنوع بين الأفراد داخل المجتمع الواحد، وإما أن تكون جماعية فتخلق التنوع بين المجتمعات.

8-فرانكشتاين في بغداد تناقش ما آلى إليه العراق بعد الصدام والاجتياح الأمريكي من قتل ودمار وتفجير بأسلوب جديد فيه من الرمزية والغرائبية التي تحملها، شخصية الشسمه، لها عدة دلالات.

9-الهوية في العراق تعددت بتعدد أطيافها وأعراقها ولغتها وأديانها.

10-الشسمه ليس له هوية واحدة بل هوية كل عراقي ساكن في ذات كل عراقي، يبحث فقط عن راحة البال بالقضاء على البدرة الشريرة التي انغطس فيها المجتمع العراقي.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

المصادر:

- أحمد السعداوي، فرانكشناين في بغداد، دار الجمل، بيروت، الطبعة الأولى، 2014.

المراجع:

1. أبو القاسم هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، دار الفكر، بيروت، د ط، 1998.
2. أحمد تيمور، اليزيدية ونشأتهم، الدار السلفية، القاهرة، د ط، 1998م.
3. اسماعيل صول، اليزيدية قديما وحديثا، المطبعة الأمريكانية، بيروت، د ط، 1984م.
4. حاتم الورقلي، الهوية والسرد، دار التنوير، تونس، د ط ، 2009.
5. حبيب صالح المهدي، دراسة في مفهوم الهوية، مركز الدراسات الاقليمية، د.ت، د.ط.
6. حسن حنفي حسين، الهوية، دار الكتب، القاهرة، ط1 ، 2012.
7. حميد فاضل حسن، الهوية العراقية والدولة، دار الصبح، بيروت، ط2، 2000.
8. رشيد الخيون، الأديان والمذاهب في العراق، دار المكتبة، دمشق، ط1، 2000.
9. زهير الخويدي، الهوية السردية والتحدي العولمي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2000.
10. سلام كوبع العتيبي، العراق أمة، دار الطليعة، بيروت، 2000م.
11. سليم مطر، الذات الجريحة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ت، ط1، 2000.
12. سليم مطر، موسوعة لغات العراق، دار الكلمة الحرة، بيروت،ط1، 2009م.
13. الشريف الجرجاني ، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط ، 1988.

14. عادل عبد الله محمد، دراسات في الصحة النفسية (الهوية، الإغتراب، الاضطرابات النفسية)، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 2000.
15. عادل عبد الله، التفكيكية (إدارة الاختلاف وسلطة العقل)، دار الحصا دار الكلمة، دمشق، ط1 ، 2000.
16. عبد الحسين شعبان، جدل الهويات في العراق الدولة والمواطنة، دار الطابعة، بيروت، ط1، ،2001م.
17. عبد السلام بن عبد العالي، التراث والاختلاف، دار التنوير، بيروت، ط2، 2006.
18. عبد العزيز مانع، ندوة الهوية والسرد، كلية الآداب جامعة الملك سعود، 2012.
19. عبد الله ابراهيم، الهوية والسرد والاعتراف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ، 2001.
20. عزيز العظمة وآخرون، مفاهيم عالمية للهوية، تر عبد القادر فنيني، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ، 2005.
21. فتحي المسكيني، الهوية والزمان، دار الطليعة، بيروت، ط1 ، 2001.
22. فراس السواح، أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، دار الأمل دمشق، الطبعة الأولى، 1996م.
23. محمد سبية، الهوية ، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2000.
24. محمد صالح الهرماسي، مقاربات في إشكالية الهوية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ، 2005.
25. محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط ، 1999.
26. محمد مسلم، خصوصيات الهوية وتحديات العولمة، دار قرطبة، د ت.

27. محمد نور الدين، الهوية والاختلاف (في المرأة، الكتابة والهامش)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ت.
28. مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، دار مكتبة الحياة، دمشق، د ط، 1982.
29. نادر كاظم، الهوية والسرد (دراسات في النظرية والنقد الثقافي)، د ت ، ط1، 2006.
30. هيثم مناع، أبحاث نقدية في حقوق الإنسان، دار الأهالي والمؤسسة العربية الأوروبية للنشر واللجنة العربية لحقوق الإنسان، سبتمبر 2000.
31. يان أسمن، الذاكرة الحضارية، تر عبد الحميد عبد الغني رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

المعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، دار صبح، لبنان المغرب، ج35، ط1 ، 2006.

المجلات والدوريات:

1. إياد العطار، فرانكشتاين القصة الحقيقية، مجلة أخبار الأدب، الصادرة في 20 جويلية 2014.
2. خالد خلف داخل، موجز تاريخ الديانة المسيحية في العراق، جريدة البيئة الجديدة، 2014/08/07.
3. سالم الحص، الهوية والقضية العراقية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 311، 2005م.
4. سليم سوزة، فرانكشتاين في بغداد على قدر الألم، الحوار المتمدن، العدد 456، الصادر 17 ماي 2014.

5. سليم يوسف، دراسة حول أصل الصابئة المندائيين، مجلة ميزوبوتاميا، بغداد، 2006.
6. صالح المرزوق، فرانكشتاين في بغداد جدارية فنية لخارطة العنف وأشواق العراق إلى العدل، جريدة نبض العراق، 3 ماي 2014.
7. غيث منهل هادي، إشكالية الهوية، قراءة في رواية فرانكشتاين في بغداد، جريدة الدعوة، أفريل 2014.
8. محمود فراج النبي، عندما يتحول تحقيق العدالة إلى جريمة الصادر عن جريدة القدس العربي، في 22 ماي 2014.
9. مصطفى الصوفي، قراءة في رائعة أحمد السعداوي، الحوار المتمدن، العدد 4385 الصادر 6 مارس 2014.
10. هدى أبو غنيمة، الصورة وفرانكشتاين، مجلة عود الند، الصادرة في 23 نوفمبر 2014.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

بسملة: ..... –

دعاء: ..... –

شكر وعرفان: ..... –

إهداء: ..... –

إهداء: ..... –

مقدمة: .....أ – ج

الفص الأول: ضبط مصطلحات العنوان

1.مفهوم الهوية: 2

أ. لغة: 2

ب. اصطلاحا: 2

2.مستويات الهوية: 3

3.الهوية من المنظور الفلسفي: 6

4.الهوية من المنظور النفسي: 8

5.التحول والثبات في الهوية: 10

6.وظيفة الهوية والحفاظ عليها: 11

7.الهوية والسرد: 12

8. بداية فرانكشتاين وعلاقتها بالأدب: 15

9. حقيقة فرانكشتاين في بغداد: 17

10. مناسبة الوضع لاستحضار فرانكشتاين في بغداد: 18

الفصل الثاني: الهوية في رواية فرانكشتاين في بغداد

ا. الهوية في العراق: 21

1. الهوية الإثنية (العرقية): 21

أ. الشيعة: 21

ب. السنة: 22

ج. اليزيدية: 23

د. الأرمن العراقيون: 24

هـ. الصابئة المندائيون: 24

2. الهوية اللغوية: 25

أ. اللغة السومرية: 26

ب. اللغة الأكدية: 26

ج. اللغة الأرامية: 27

د. اللغة السريانية: 27

هـ. اللغة الكردية: 27

و. اللغة المندائية: 28

ز. اللغة الأرمينية: 28

ح.اللغة التركمانية: 29

ط.اللغة العربية: 29

3.الهوية الدينية في العراق:..... 30

أ. الديانة الإسلامية:..... 30

ب. الديانات المسيحية: 31

ج.الديانة اليهودية: 32

II. فرانكشتاين والهوية:..... 32

III. تجليات الهوية في رواية "فرانكشتاين في بغداد" 34

IV. أسباب الحرب في العراق 36

V. سبب إنتقام الشسمه 37

VI. سبب إختفاء الشسمه 38

خاتمة: 40

قائمة المصادر والمراجع: 43

فهرس المحتويات: 48